المنظومة القيمية في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة "الانترنت أنموذجاً"

مخلوف بومدين

أستاذ بجامعة محمد بوضياف، المسيلة

I. إشكالية البحث:

إن العالم اليوم في مختلف مجالاته شهد العديد من الْمُستجدات التي لم يسبق له أن شهدها من قبل بصورته الحالية، ومن بين هذه المستجدات تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي عرفت نمو سريع وانتشار واسع في مختلف المجتمعات، ومن أبرز هذه التكنولوجيات خدمة الانترنت التي استطاعت أن تحتل مساحة واسعة من اهتمام المجتمعات والأفراد، فما تحمله من تكنولوجيا إعلام وثورة اتصالات ومعلومات وخدمات جعل هذه التقنية الاتصالية المعلوماتية لا تخضع لعامل الزمن الطويل كي تنتشر في المجتمعات الإنسانية، وأصبح استخدامها ضرورة في حياتنا اليومية، حيث قلَّصتِ المسافات وأزالتِ الحدود بين المجتمعات فتداخلت الأفكار والثقافات والقيم بين الكثير من الأفراد والمجتمعات.

الانترنت التقنية المعلوماتية الاتصالية أصبحت خدماتها كثيرة ومتنوعة، يستخدمها اليوم الكثير من الأفراد والمجتمعات خاصةً في المدن، هذه التقنية الحديثة وقوة جاذبيتها، تدخلاتها، تناقضاتها وبقدر تطور ونجاح تفاعل الأفراد معها، يُمكِنها أن تؤثر على مختلف مجالات الحياة، الاقتصادية، السياسية، الثقافية والاجتماعية، ففي المجال الاجتماعي ومن خلال مدى استخدام أفراد المجتمع لها يمكنها أن تؤثر على القيم الاجتماعية التي تُمثل شبكة النُظم والأنساق والعلاقات والبناءات، لدى أهم ثروة يمتلكها المجتمع وهي الثروة البشرية، التي تُمثل القيادة الفكرية والمنظومة القيمية الأساسية للمجتمع.

في ظل هذه المتغيرات واختلاف درجاتها من حيث التأثير، نجد تقنية الانترنت أضحت الوسيلة الأكثر انفتاحاً على العالم بما تملكه من تقنيات الجذب، الكم الهائل من المعلومات، التطور الجيد وسرعة الانتشار خاصة في المجتمعات الحضرية، تُواجه المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمعات الجزائرية بصفة خاصة هذه التقنية، كونَها تنقل مُختلف الثقافات بين دول القارات الخمس، فالمجتمعات الجزائرية كغيرها من المجتمعات لها تراثٌ ثقافي واجتماعي ثري وعميق بعمق تاريخ المنطقة وباختلاف جغرافية المكان، استطاعت تقنية الانترنت أن تنتشر فيها بسرعة وتتطور بتقنياتها وتركيباتها خاصة في الأوساط الحضرية، أين نجد انتشارها الواسع في المؤسسات والمنازل وفي مختلف أنحاء المدينة، فقد أصبحت ظاهرة مُجتمعيّة لا يُمكن الاستغناء عنها، والتي شملت مُعظم الفئات من رجال ونساء، شباب وأطفال، وتقنية الانترنت لها بناؤها وتنظيمها وأهدافها، أساليبها الخاصة، خدماتها ومدى كيفية استخدامها يُمْكِنهُ أن يُؤثر على المنظومة القيمية التي تُمثل بناء وتركيب المجتمع، هذه الآثار متنوعة وعديدة في مختلف الأنشطة والظواهر المختلفة وعلى شبكة العلاقات الاجتماعية، فهي تنظيم يقوم بوظيفة اجتماعية، وهي بناء لنشر قيم متنوعة تختلف والقيم السائدة ذات الثوابت الأساسية العامة.

بناءً على هذا سنحاول في دراستنا معرفة تأثير الانترنت على مجموع القيم الاجتماعية، وعليه فإن تساؤل إشكالية بحثنا: ما هي أهم آثار الانترنت على مجموع القيم الاجتماعية؟

ويتمحور هذا الإشكال حول التساؤلات الآتية:

1. ما هي الانترنت وما أهم الخدمات التي تُقدِّمُها؟
2. ما هي أهم العوامل التي تجعل الفرد يستخدم الانترنت؟
3. ما نوع الآثار التي تتركها الانترنت على مجموع القيم الاجتماعية؟

ومن أجل ذلك سوف تتم معالجتنا من خلال الأهداف التالية:

II. أهداف البحث:

1. التعرُّف على تقنية الانترنت والكشف عن طبيعة الخدمات التي تُقدِّمها، مع التعرُّف على أهم الخدمات ذات الإقبال لدى شرائح المجتمع.
2. معرفة أهم العوامل والأسباب التي تجعل أفراد المجتمع يستخدم تقنية الانترنت.
3. التعرُّف على بعض التغييرات التي يُمكن أن تُحْدِثها الانترنت على مجموع القيم الاجتماعية التي تُمثل التركيبة الأساسية للمجتمع.
4. معرفة أثر التغير في مجموع القيم الاجتماعية كنسق وبناء اجتماعي، وفهم نوعية العلاقات الاجتماعية التي تُؤلِّف شبكة ونسيج اجتماعي.
5. توضيح وجهة نظر جديدة حول كيفية استخدام واستغلال خدمات الانترنت بما يتناسب والقيم الاجتماعية السليمة في بناء مجتمع مُنسجِم و مُتماسِك.
6. معرفة إيجابياتها، سلبياتها، طبيعة استغلالها، استخدامها ومدى تفاعل شرائح المجتمع معها وانعكاساتها على مجتمع المدينة، واهتمامنا الكبير بهذا الموضوع هو وضع برنامج تخطيط اجتماعي شامل لبناء

نموذج حضري مُتماسك يُشكل في مُجْملِ محاوره ما يُعرف بالمجتمع المنظم.

III. **تحديد المفاهيم:**

1. الإعلام: الإعلام مشتق من العِلم، يقول العرب استعلمه الخبر، فأعلمه إياه يعني صار يعرف الخبر بعد أن طلب معرفته، فيكون معناه نقل الخبر،[1] وهو التعبير الموضوعي بعقلية الجماهير ولروحها واتجاهاتها وميولها في نفس الوقت، يتسم بالأمانة، والدِّقة، ويهدف إلى النهوض، بمستوى الرأي العام فكراً وتذوقاً وثقافة،[2] وهو نشر الحقائق والأخبار والمعلومات، وقد يعمل أحياناً على تشكيل أفكار وسلوكات وقيم ومعايير سلبية.

2. الاتصال: هو انتقال المعلومات والحقائق والأفكار والآراء، والاتصال نشاط إنساني حيوي وأن الحاجة إليه في ازدياد مستمر،[3] وعملية الاتصال قد تكون نشاطاً عفوياً لا شعورياً أو عملاً مخططاً هادفاً،[4] ويُعرَّف الاتصال في مجال الإعلام بأنه: بث رسائل واقعية أو خيالية تتصل بموضوعات معينة على أعداد كبيرة من الناس مختلفين فيما بينهم في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ويتواجدون في مناطق مختلفة،[5] حيث عناصره في القائم بالاتصال الذي يقوم بنقل المعلومات أو الأفكار أو الآراء إلى الآخرين، والرسالة التي تحتوي الرموز والتي تعبر عن المعلومات أو الأفكار أو الآراء أو المعاني، والمستقبل أو المتلقي الذي يستقبل الرسالة ومحتواها، فالمتلقي هو من تتوجه إليه العملية الاتصالية والتلقي هو قدرة المتلقي وإمكانياته لاستلام الرسالة ومدى الاستجابة لها سلباً أو إيجاباً، ومن العوامل التي تؤثر في الاتصال بين الأشخاص، الأداة، الوقت والمكان.

3. تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة: هي تلك التكنولوجيات التي تقوم بالتقاط ومعالجة، وتخزين واسترجاع، وإيصال المعلومات سواء في شكل معطيات رقمية، نص، صوت أو صورة، وتشمل الحاسبات الآلية ووسائل الاتصال وشبكات الربط وأجهزة الفاكس وغيرها من المعدات التي تستخدم بشدة في الاتصالات، من مميزاتها، تقليص الوقت، تقليص المكان، تكوين شبكات الاتصال، التفاعلية، اللاتزامنية، اللامركزية، اللاجماهيرية.

4. الانترنت:

5. التعريف اللُّغوي: انترنت Internet لغوياً مُشْتقَّة من شبكة المعلومات الدولية، اختصار للاسم الإنجليزي Work International Net ويُطلق عليها عِدّة تسْميات مِنها الشبكة The Net أو الشبكة العالمية Net World أو شبكة العنكبوت The Web أو الطريق الإلكتروني السريع لِلمعلومات Electronic Super High Way.[6]

6. التعريف الاصطلاحي: يُعرِّفها محسن أحمد الخضيري بأنها: شبكة تحتوي على مجموعات مختلفة من شبكات الكومبيوتر ذات القدرات الفائقة على نقل المعلومات، حِفظها وتَّحديثها، وهي مُنتشرة على جميع المناطق في العالم وتُتيح كافة أنواع المعارف الإنسانية، وتُمارس دورها الرئيسي في توحيد العالم وفي زيادة ترابطه واتصاله، فهي تُطوِّر الطُّرق والوسائل التي يتواصل بها الناس،[7] ويُعرِّفها مصطفى السَّيد بأنها: مجموعة من الحواسيب التي تتحاور مع بعضها البعض من خلال اتصالها معاً عبر كوابل الألياف الضوئية والخطوط التلفونية والأقمار الصناعية وغيرها من وسائل الربط الشبكي،[8] كما يُعرِّفها أرنود ديفور Arnaud Defour بأنها: ظاهرة تعدَّت العِبارات في وصْفِها وشبكة الشبكات، بيْت العنكبوت العالميَّة، والسيبر سبايس Cyper Spayce،[9] ويُعرِّفها عالم الاجتماع الأمريكي مارشال ماك لوهان بأنها: البُعد الرابع،الشبكة الغامضة، السوق الإلكترونية، السوق الفسيح، القرية الكونية أو الكوكبية،[10] ويُعرِفها أوليفيي أندريو Olivier Andrieu بأنها: الشبكة الفيدرالية للشبكات تُوصل آلاف مصادر المعلومات لمختلف أرجاء العالم، خدماتها مُتعددة وإمكاناتها في الاتصال مُختلفة.[11]

7. التعريف الإجرائي: هي شبكة عالمية واسعة الانتشار، ترتبط بها العديد من الحواسيب الآلية، تعمل عن طريق وسائل الربط المتنوعة كأسلاك الهاتف والأقمار الصناعية وغيرها، في تطور سريع ومستمر، تُوفِّر خدمات كثيرة ومتنوعة في العديد من المجالات الاقتصادية، الثقافية والترفيهية، الدينية والاجتماعية، قادرة على القيام بِمهامها بسرعة عالية وجودة فائقة، تساعد في إجراء الاتصالات بين أفراد المجتمعات، تسمح للمشتركين فيها بالتنقل والاستخدام بصورة حُرَّة للمواقع المسموح بها، يستخدمها أفراد المجتمع ولها أبعاد وآثار عديدة ومتنوعة.

8. القيم الاجتماعية:

9. التعريف اللُّغوي: القيم جَمْعُ قيمة معناها سِعر أو ثَمن.[12] القيمة هي ما يساوي إنسان أو شيء وإعطائه مكانة وأهمية، ونقول الشيء قيّم أي له فائدة وأهميّة،[13] كلمة قيمة في اللُّغة العربية مُشتقة من القيام وهو نقيض الجُلوس، قامَ يقومُ قوماً وقياماً وقواماً وقامةً، والقيام بمعنى آخر هو العزم ومنه قوله تعالى: ((وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ)) سورة الجن الآية 19، أي لما عزم، كما جاء بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى: ((الرِّجَال قَوّامُون على النِّساء)) سورة النساء الآية 34، وأما الْقَوام فهو الْعَدْلُ وحُسْنُ الطُّول وحُسْنُ الاستقامة،[14] وتدُلُّ كلمة القيمة إلى الاعْتِدال والاسْتِواء وبُلوغ الغاية، فهي مُشتقَّة أصلاً من الفعل قام بمعنى وَقَفَ، اعْتَدَلَ، انْتَصَبَ، بَلَغَ، اسْتَوى،[15]

وهناك معاني أُخرى للقيمة فهي تعني الدَّوام والثبات والاستقامة، كما يوصف الإنسان أو الشيء أو العمل أو الدّين بكونه قيماً أي مستقيماً، فالإنسان القيم هو المستقيم، والديانة القيمة هي المستقيمة، قال تعالى: ((وذلك الدّين القيّم)) سورة البينة الآية 6، وقال تعالى ((فيها كُتبٌ قيّمة)) سورة البينة الآية 3، ومع مرور الأيام شاع استعمال كلمة القيمة، فأصبحت تدُلُّ على معاني أخرى متعددة، فيرى مثلاً عُلماء اللغة أن للكلمات قيمة نحوية تُحدِّد معناها ودورها في الجُملة، وأن قيمة الألفاظ تكمُن في الاستعمال الصحيح لها، كما يَستعْمِل علماء الرياضيات كلمة القيمة للدلالة على العدد الذي يقيس كمية معينة، ويستخدمها أهل الفن كونها تجمع بين الكم والكيف، وهي بِهذا تُعبِّر عن كيفية الألوان، والأصوات والأشكال والعلاقة الكمية القائمة بينهما، كما يستخدمها علماء الاقتصاد للدلالة عن الصفة التي تجعل شيئا مُمكن الاستبدال بشيء آخر، أي قيمة المبادلة.[16]

10. التعريف الاصطلاحي: يُعرِّف الدكتور سمير مُحمّد القيم بأنها: عبارة عن مجموعة من المعتقدات، التي تمثل المقومات الأساسية، أو المحور الذي تُبنى عليه مجموعة من الاتجاهات، توجِّه الأفراد نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويُفضّلها هؤلاء الأشخاص ، لأنهم يؤمنون بصحتها، فالقيم تتضمن التفضيلات الإنسانية، وقد تتكون من حالات واقعية وإدراكية تُوجِّه السلوك، كما قد تكون مُكتسبة يتعلّمها الفرد من خلال عمليات التطبيع الاجتماعي،[17] ويُعرِّف تالكوت بارسونز في كاتبه "الشخصية والبناء" القيم بأنها: تصوّرات توضيحيّة لتوجيه السلوك في الموقف، تُحدِّد أحكام القبول والرفض وتنبع من التجربة الاجتماعية وتتوحّد بها الشخصيّة، وهي عُنْصر مُشترك في تكوين البناء الاجتماعي والشخصية الفردية، فهي من مُكوِّنات الموقف الاجتماعي، لأنها تتضمن نظام الجزاءات المرتبط بنظام الأدوار في البناء الاجتماعي، كما أنها تكون جزء من لب الشخصية الاجتماعية، لأنها حصيلة أو نِتاج عملية التنشئة الاجتماعية، والقيم قد تكون واضحة تُحدِّد السلوك تحديدًا قاطعاً، أو غامضة متشابهة تجعل الموقف مُلتبِساً مُختلِطًا.[18]

11. التعريف الإجرائي: يُمكِن تعريف القيم بأنها: تلك المبادئ والأُسُس، الاتجاهات والمعتقدات والثوابت، يستمِدُّها الأفراد من خلال تفاعلهم مع بعضهم ومع المحيط عبر طرق ووسائل مختلفة، ووفق معايير اجتماعية عامة ومُوحّدة بين أفراد المجتمع، فهي تُحدِّد وتوجِّه السلوك المقبول أو المرفوض اجتماعياً، وتُحدِّد هوية المجتمع وتقوي الروابط بين أفراده، وتُعتبر عنصراً رئيسياً من مكونات وبناء وتركيب الواقع الاجتماعي ككُل.

12. التغيُّر: كلمة التغيُّر في اللُّغة تدل على معنى التحوّل والتبدّل، فتغير الشيء هو تحول وتبدل ذلك الشيء بغيره، كما يعني الأشياء واختلافها، وتدل كلمة التغير في اللغة الإنجليزية change على معنى الاختلاف في أي شيء مُمكن ملاحظتهُ خلال فترة زمنيّة محددة،[19] ويُعرِّفه جون لويس جبلين وجون فليب بأنه: التحوُّل في أنماط الحياة سواء كان هذا التحوُّل راجعاً إلى التبدل في الأجهزة الثقافية أو في التركيب السكاني أو في الإيديولوجيات أو في الظروف الجغرافية، ومن هذا المنطلق فإن التغير الاجتماعي يعني كل تحول في النُّظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة،[20] والتغير الاجتماعي هو عبارة عن أي تبدل أو تحوُّل يتعرض له المجتمع، ويؤدي به إلى الانتقال من حالة اجتماعية إلى حالة اجتماعية مختلفة، سواء كان هذا التغير إيجابي أو سلبي، وحُدوث التغير يرجع إلى أسباب متنوعة.

IV. خصائص وخدمات الانترنت:

1. خصائص الانترنت: للانترنت عدة خصائص نذكر منها:[21]

- وسيلة مُتعدِّدة الوسائط Multimédia: تجمع بين النّص والصّوت والصّورة في نسيج واحد، حيث تُشكِّل منهم جميعاً رسالة إعلامية اتصالية خدماتية مُتعدِّدة الوسائط.
- توفِّر الجهد، الوقت، المال.
- غزارة المعلومات وتدفُّقها.
- التّزامنية واللاتزامنية للمعلومات.
- التفاعليّة Interactivity: ومنها:
- التفاعلية الإرشادية Navigati Interactivity: تُرشِد المستخدم بالتوجه إلى الصفحات.
- التفاعلية الوظيفيّة Functional Interactivity: تتم عبر البريد المباشر، أو الروابط أو مجموعات الحوار.
- التفاعلية التكيُّفيَّة Adapeted Interactivity: تُمكن موقع من المواقع أن يُكيف نفسه مع سلوك المستخدم.
- الكوكبيّة، الشمولية.
- خدمات الانترنت: للانترنت عدة خدمات نذكر منها:
- خدمة البريد الإلكتروني E-mail.
- خدمات تبادل الأخبار والمناقشة News Groups.
- الحوار الكتابي المباشر: Internet Rely Chat-IRC.
- الكُتب والمراجع الإلكترونية.
- خدمة التحاور الآني "الحُجُرات الحوارية الحية".

- تُوفِّر شبكة الانترنت كذلك خدمة المكالمات الهاتفية.
- خدمة التواصل الاجتماعي: والذي يتمثل في الاتصال التكاملي، الذي يجمع بين النص المكتوب والمسموع والمسموع المرئي.

V. **سلبيات وإيجابيات استخدام شبكة الانترنت:**

تأثير شبكة الانترنت يتحكم فيه أفراد المجتمع إلى حد كبير من خلال مدى كيفية استخدامهم، فلم تعُد الانترنت مجرد شبكة عالمية للتبادل السريع للمعلومات، بل أصبحت تؤدي اليوم مهاماً ذات انعكاسات سياسية، إعلامية، اقتصادية، ثقافية، علمية واجتماعية، بإمكانها أن تمس جميع ومختلف فئات المجتمع، فتقنية الانترنت لها سلبيات وإيجابيات على الفرد والمجتمع وعلى البناء الاجتماعي.

1. سلبيات استخدام شبكة الانترنت: استخدام شبكة الانترنت له عدة سلبيات نذكر منها:

- معظم المواقع الموجودة بالانترنت غربية تحتوي تقاليد مناقضة لقيم المجتمع العربي المسلم، مُقابل ندرة المواقع العربية التي تتناول موضوع القيم الاجتماعية المرتبط بالتراث العربي الإسلامي، مما أحدثت لدى العديد من المجتمعات التوتر بين المحلية والعالمية، التوتر بين التقاليد والحداثة، التوتر بين ما هو روحي وما هو مادي.
- تحتوي الانترنت على برامج مُستعارة وأفلام ساقطة وبرامج غنائية ورقص ومسرحيات فُكاهية بلا فائدة وبدون أي هدف اجتماعي، وهي بذلك تساعد مُستخدِميها على الانحراف وعلى اكتساب قيم خطيرة على مجتمعنا الإسلامي.
- إدمان الانترنت يؤدي إلى العزلة التي تُضْعِف الروابط العائلية والاجتماعية، فعندما يشعر الفرد بأنه يحصل على كل شئ دون أن يكون في إطار اجتماعي فإنه يبدأ في الانعزال تدريجيا من المجتمع البشرى إلى المجتمع الإليكتروني، هذه العزلة الفردية تولد عند الفرد اغتراباً عن الواقع وتؤدي إلى تهربه من مسؤولياته الحقيقية نحو نفسه ونحو مجتمعه، كما تؤدي إلى تراجع الهوية الثقافية العربية أو تهميشها وهذه العزلة كفيلة بتفكيك المجتمع.

2. إيجابيات استخدام الانترنت: استخدام شبكة الانترنت له عدة إيجابيات نذكر منها:

- الانترنت تُعطي أهمية دور الأولاد في الحياة، وتُساهم في تنمية القيم الاجتماعية الإيجابية لدى المستخدم.
- تحتوي الانترنت مواقع وبرامج دينية إسلامية تُبْصِر المستخدِمين بأمورِ دينِهم وتُقدم لهم الآيات القُرآنية مع تفسيرها وشرْحِها لهم وإمكانية تحميلها والاستفادة منها.
- توفر الانترنت نوادي الحوارات والمناقشات للمُستخدِمين مع بعض العلماء والباحثين المسلمين حول قضايا اجتماعية تتعلق بشؤون حياتهم ومجتمعهم وتسويتها بما يتعايش مع تعاليم دينهم.
- توفر كيفية معاملة الآخرين ومخاطبة الكبار وتنمية بعض القيم الاجتماعية الايجابية لديهم كالتعاون والولاء والالتزام بحب الوطن.
- تمكن الانترنت من تشجيع قيم اجتماعية ايجابية أكثر تماسكاً وتواصلاً وإنسانية، حيث تسمح عبر حوارات مُعمَّقة بين المثقفين العرب انفتاح الثقافة العربية على ثقافات الشعوب الأخرى، وتسعى في الوقت نفسه إلى تجديد الثقافة العربية من الداخل.

VI. ماهية القيم الاجتماعية وأهميتها:

1. ماهية القيم الاجتماعية:

- القيم الاجتماعية جزء من أجزاء تركيب وبناء المجتمع، وتلعب دورا أساسيا في تكوين وتشكيل النسق الاجتماعي واستقراره، تتصف بالاستمرارية وبالعمومية والانتشار، وتُعتبر من أهم الثوابت والمبادئ الأساسية التنموية في المجتمعات الريفية والحضرية، فهي من العناصر الاجتماعية الرئيسية القادرة على التكيُّف مع التحوّلات والتغيّرات، حيث في نشأتها وتطورها قائمة على مصطلحات وتراكيب المجتمع، فالقيم الاجتماعية هي الإطار والمبدأ المرجعي المُنسجم مع الإطار المجتمعي العام، وهي نتائج يتعلمها الأفراد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ويتغيرون بها تدريجياً ثم يضيفونها إلى إطارهم المرجعي، وتلعب دوراً مُهِماً في حياة الفرد والجماعة والمجتمع، حيث تُعطي القيم من الناحية الاجتماعية التوازن للمجتمع وتنميته.
- يرى بعض العلماء أن القيم ترتبِطُ بحياتنا ارتباطًا وثيقًا فما هي إلا تعبير لتقدير الأشياء، ولا تنعزل عن الحياة بل تعلو عليها وتسمو على الواقع لتكتسب الموضوعية والعمومية، وعمومية القيم تعني عند دوركايم أنها توجد في الواقع كأشياء وأنها مشتركة بين مجموعهم من الناس والجماعات ويجد فيها الناس إشباعاً لرغباتهم التي يبحثون عنها بين موضوعات مختلفة في مواقف متباينة، وكل وِحْدة في المجتمع وكل جماعة لها قيمها الخاصَّة المنظِّمة لسلوك أعضائها.[22]
- تُعتبر القيم إحدى المبادئ الأساسية لبناء المجتمع والحفاظ على تركيبه ونموه، فهي تدفع الأفراد فِكرًا وسلوكًا إلى اتخاذ مواقف إيجابية إزاء الأحداث والثورات المختلفة خاصةً منها ثورة الاتصالات وفي مُقدِمَتِها تقنية الانترنت، فالقيم عبارة عن مُعتقدات ومبادئ يحملها أفراد المجتمع نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة، والتي تعمل على توجيه رغباتهم واتجاهاتهم نحوها ، وتُحدِّد لهم السلوك المقبول والمرفوض، وتمثل ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد الإطار العام

الذي تتشكل فيه القيم التي يؤمن بها، حيث تنفرد كل ثقافة عن غيرها من الثقافات بمعاييرها التي تحكم بها على الأشياء.

- تلعب الأسرة دوراً أساسياً في بناء وتكوين الفرد وبناء المجتمع، فالأسرة مؤسسة اجتماعية تقوم بوظائف متنوعة، منها يتعلم الأفراد مبادئ السلوك وكيفية التعامل والتفاعل مع الآخرين وتُكسِبُه القيم والعادات والمعايير الاجتماعية، وتقوم بمراقبة وتوجيه أفرادها وتضبط تصرفاتهم وسلوكاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، فالأسرة هي التي تُمنح الطفل أوضاعه الاجتماعية وتُحَدِّد له منذُ البداية اتجاهات سلوكه وخياراته، فهي تُحدِّد نوع العلاقات الاجتماعية التي يتَّبِعها، وتُحدِّد له الميول السياسية التي يتبعها خاصةً نحو وطنه، وتحدِّد له الدّين الذي يَعْتَنِقُهُ كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفِطْرة ، فأبواه يُهوِدانه، أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِسانه"، فالأسرة تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية في إطار ثقافة ومعايير المجتمع الذي تعيش فيه، وتجعل الفرد عضواً فاعلاً ومتفاعلاً ومُنسجماً ومُنتجاً في المجتمع.
- يُوضِّح التراث النظري المرتبط بموضوع القيم والبناء الاجتماعي الحضري اتفاق أغلبية الدارسين والْمُحلِّلين على إعطاء القيم دوراً رئيسياً في تفسير مختلف مظاهر الحياة في مجتمع المدينة، ولقد جسَّد أصحاب هذا الاتجاه هذا الموقف عندما درسوا ما تُحْدِثه القيم من تأثيرات على مُختلف أنساق الحضرية ، ولعلَّ ذلك كُلَّه يفرض دراسة مكونات البناء الإيكولوجي والاجتماعي للمدينة وضرورة فهم ما يجري فيها في ضوء القيم التي يؤمن بها سكانها وبمقتضى هذا التصور فإن أنشطة المدينة تتشكل وفق البُعد القيمي،[23] حيث اعتبر بارسونز القيم نقطة مرجعية أساسية لتحليل بناء وعملية الأنساق الاجتماعية،[24] على أن ويليام كولب قد كشف عن جانب آخر من هذا الموضوع حينما أشار إلى قدرة الإطار التصوّري الذي قدمه بارسونز على الدراسات المقارنة للبناء الاجتماعي الحضري، وتتجلى هذه القدرة على استخدام متغيرات النمط في تفسير الحياة الحضرية ومعالجة التطور من ناحية تماسك النظام القيمي [25].

2. أهمية القيم الاجتماعية:

- تُحَدِّدُ الأهداف والأدوار وتُبقي على النِظام الاجتماعي صفة التماسك والاستقرار.
- خدمة النِّظام الاجتماعي واستقراره في الحياة الاجتماعية".[26]
- تنظيم المجتمعات وإدماج الأفراد وبناء وتركيب النسق الاجتماعي، وتحديد السلوكات وفق مجموعة من المعتقدات الأساسية، وتحدد البُنية القيمية وتُنظِّمها، ولها أهمية في تكوين شخصية الفرد وتقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية والمحافظة على الهوية الوطنية، وتُجنِّب الفرد أمراض اجتماعية تؤثر سلباً على حياته الاجتماعية كالعزلة، وتُساعد الفرد على اكتساب معارف جيِّدة وتغرس روح الانتماء وتحافظ على طابع المجتمع النظامي، الاقتصادي والاجتماعي، وخلق علاقة تكاملية بين العناصر الأُخرى المشكِّلة في بناء للمجتمع وتُحافظ على التَّوازن والبناء الاجتماعي بماضيه وتراثه الثقافي والفكري بحاضره وبمستقبله، وتُقوّي التماسك والتعاون الاجتماعي ،"فالقيم الاجتماعية عنصراً مُشتركاً في تركيب البناء الاجتماعي.[27]

VII. شبكة الانترنت والقيم الاجتماعية:

1. إن العصر الذي نعيشه هو عصر الثورة التكنولوجية وعصر التغير المتسارع، وعصر الانفتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي، والثورة التكنولوجية التي هي من أهم خواص القرن الذي نعيشه هي ثورة تعتمد على المعرفة العلمية المتقدمة، والاستخدام الأمثل للمعلومات المتدفقة بمعدلات سريعة، ومنذ بداية التسعينات من القرن العشرين بدأت هذه الثورة تحدث تغيرات أساسية في الطريقة التي ينظر الناس بها إلى أدوارهم وأسلوب التعامل مع بعضهم البعض، وإلى التعامل مع الأحداث القريبة والبعيدة، وأصبحت القوة والغنى والتقدم تقاس بمقياس واحد هو الاندماج في الحضارة العلمية والأخذ بمعطيات الثورة المعلوماتية، وأبرز جوانب الثورة المعلوماتية هو الجانب الخاص بالتطورات المدهشة في عالم الحاسوب، فهو لا يزداد سرعة وكفاءة فحسب، بل يزداد تخصصا ورخصا وصغرا وانتشارا واستخداما، ويتحرك من المغناطيسي إلى الضوئي إلى الرقمي، ومن الثابت إلى المتحرك، ومن الجامد إلى الناعم، ومن المادة إلى الخلية العضوية.[28]

2. الانترنت وسيلة من وسائل الإعلام والاتصال، قلصت المسافات بين المجتمعات وأزالت الحدود الجغرافية بين الكثير من المدن، ذات تطور سريع ومستمر، تقنية عالمية واسعة الانتشار، خدماتها كثيرة ومتنوعة في العديد من المجالات، قدرتها على القيام بمهامها بسرعة عالية وجودة فائقة، تساعد في إجراء الاتصالات بين أفراد المجتمعات، ولها تأثيرها الاجتماعي في جميع بقاع العالم، الذي يختلف حسب طبيعة وتركيبة أفراد المجتمعات، وقد يُؤدي الاستخدام المتنوع لها إلى تغيير بعض القيم الاجتماعية مما سيُؤثر في تشكيل وبناء المجتمع.

3. قد يؤدي الإدمان على استخدام الانترنت إلى العزلة الاجتماعية وإلى تفكك الروابط الاجتماعية وإلى تراجع العلاقات الاجتماعية.

4. إن ارتباط الفرد بخصوصيات وعلاقات سلوكية مع مجموعات من البشر ذابت بينهم الحواجز الفكرية من خلال شبكة المعلومات وتحطم بينهم الحاجز اللغوي وتنمط بينهم السلوك وانخفضت لديهم

درجة حرارة التعصب للوطن، يؤدى حتما إلى تحول الفرد إلى إنسان بلا هوية، حيث أصبح الفرد يكتسب معرفته ويقضى وقت متعته ويبيع ويشترى مع أناس لا تربط بينه وبينهم أية روابط لا لغوية ولا دينية ولا وطنية.

5. إن استخدام الانترنت غير المنظم والمخطط يُكنه أن يؤدي إلى تغيرات في المنظومة القيمية التي تمثل نسق وبناء الحياة الاجتماعية، حيث يفتح الطريق أمام تحولات وعلى التفاعل في علاقاتنا الاجتماعية الأُسرية والقرابية، وعلى هويتنا الوطنية وواقعنا الاجتماعي، وهناك عوامل أساسية للانترنت جعلتها تؤثر بصورة مباشِرة أو غير مباشرة على مجموع القيم الاجتماعية، نذكر منها:

- قوة المثير وشدته: بمعنى أن مثير الانترنت إذا كان قويا كان احتمال إدراكه أكبر.
- الحجم: حيث تزداد قيمة ما يجذب الناس إذا كان المدرك كبير الحجم، كما هو الحال في شبكة المعلوماتية، لذلك فإن مساحة الإعلام وتنوع واختلاف الملفات يكون له أثر كبير على مُستخدميه، وجذب انتباه الناس.
- النقاء: وتزداد فرصة جاذبية المثير، إذا كان متميزاً عن مجاله أو إطاره.
- التكرار: يؤثر على الإدراك ، فكلما تكرر المثير ، كُلما كانت فرصتهُ أكبر في جذب الناس .
- الجدة أو المثير الجديد: كلما كان غريبًا أو غير مألوف يكون له رد فعل أكبر من طرف مُستخدم الانترنت.

6. إن استخدام الانترنت يُؤدي من جانب إلى تغييرات في العلاقات والبُنيات والقيم الاجتماعية ممثلة بداية جديدة لإعادة هيكلة للبناء والأنساق الاجتماعية في دول العالم بتأثير من الإعلام العالمي، ونمو وظهور المجتمعات متعددة الثقافات، وتغير في المفاهيم المتصلة بالأسرة والمنزل، ودور الشباب ودور الكبار ودور المرأة، والعلاقات الاجتماعية، سينشأ واقع جديد للهيكل والنسق الاجتماعي في كل دول العالم، فالأسرة التقليدية من حيث بنيتها وعلاقتها ودورها، وأدوار الأفراد فيها في تغير"،[29] هذا التغير في النسق القيمي أي مع منظومة القيم، ينطلق من أبعاد جديدة لعملية استخدام أفراد المجتمع لتقنية الانترنت حيث أن:

✓ تقنية الانترنت هيئة منظمة لها بناؤها وتنظيمها وأهدافها، وأساليبها الخاصة.

✓ تنوع الأفكار والمعلومات واختلاف المواقع بمنظومة الانترنت، يمثل مجموعة الأنساق المعتمدة على نسق قيمي غربي يختلف والقيم الاجتماعية المحلية ذات الثوابت والمبادئ الإسلامية.

✓ تحوّل تقنية الانترنت المعلومات والأفكار إلى مادة إعلامية اتصالية مشحونة بجملة من القيم تتأثر لها الأنساق الفرعية كالأسرة مثلاً.

✓ لا تسلم المنظومة القيمية من الدينامية الاجتماعية، وبالتالي من التغير والتبدل والتحول.

✓ تكون العلاقة بين منظومة الانترنت والمنظومة القيمية غير مباشرة والنتائج والآثار غير مرئية، ولكنها تظهر مستقبلاً، في علاقات معينة أو فكرًا محددًا، أو موقفًا أو سلوكًا.

✓ الانترنت كمنظومة اتصالية قد تتغير في طرق أدائها، في محتواها، والمنظومة القيمية هي الأخرى قد تتبدل، أو تتغير بفعل تأثير البيئة والتأثيرات الداخلية، ومن هنا يمكن القول أن لكل فترة زمنية منظومتها الاتصالية والإعلامية ومنظومتها القيمية، رغم أن التغير في بعض القيم الأساسية كالقيم الدينية مثلاً يبقى محافظا على ثباته النسبي، وهذا لما تتمتع به القيم الدينية من تجذر ورسوخ لدى المجتمعات، خاصة إذا كانت القوة الاجتماعية المحافظة هي المهيمنة، أو لها تواجد عددي كبير في المجتمع، أو تواجد نوعي في مواقع قرارات داخل المؤسسات الهامة بالمجتمع.

VIII. نظرة استشرافية حول كيفية استخدام واستغلال خدمات الانترنت بما يتناسب والقيم الاجتماعية السليمة في بناء مجتمع مُنسجِم و مُتماسِك:

المنطلقات: تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة المتعددة الوسائط... الاتصال التكاملي... المجتمع المعلوماتي... التأثير... القيم... المعايير... المنظور السوسيولوجي؟

- تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة حتمية، تفاعلية تتضمن مؤثرات جانبية؟
- مصدر التفاعل هو الإدراك؟
- إدراك طبيعة المؤثرات الجانبية يتطلب الضبط والتوجيه لتحقيق الأهداف؟
- تحقيق الأهداف يتطلب التفاعل الواعي؟

التفاعل الواعي مع تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة المتعددة الوسائط يتطلب أبعاد ومؤشرات يفترض أن تعمل بصفة متكاملة

1. الاعتراف بوجود جوانب إيجابية وسلبية لتعرض أعضاء الأسرة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة خاصة منها التكنولوجيات المتعددة الوسائط، وفي مقدمتها خدمة الانترنت:

- خدمة الانترنت: مادة خام اتصالية تكاملية تفاعلية، يتطلب إدراك الوالدين طبيعة ومجالات تأثيرها، يتطلب تعليم الأبناء كيفية

التعامل معها، وتعويدهم على تحليل مضمون الرسالة في ضوء المعايير والقيم الاجتماعية.

2. إدراك استحالة تجنب تعرض الأبناء للتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة المتعددة الوسائط بصورها المختلفة بصفة مباشرة أو غير مباشرة، يتطلب:

- الاهتمام بتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة المتعددة الوسائط من أجل التعليم، العمل في ظل إدراك الاتجاه غير الثابت والمستمر.
- إدراك ميزة خدمة الانترنت التي تتمثل في التشويق، الإثارة، يتطلب مراقبة ردود أفعال الأبناء وتنمية وضبط التفكير النقدي وفق لغة الحوار.

3. إدراك أهمية الأخذ بأساليب تربوية متعددة ومتكاملة لمواجهة تأثير التكنولوجيا الحديثة المتعددة الوسائط بصفة سلبية على الأبناء:

- مشاركة وسائل الإعلام المحلية لتوجيه الأولاد مع الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية.
- أهمية استخدام وسائل متنوعة للتربية الاجتماعية فالثقافة الإسلامية نماذج وأساليب متنوعة للتربية الاجتماعية يمكن الاسترشاد بها.
- عدم التركيز على التوجيهات المباشرة وجعل الأساليب متكاملة.

4. وجود قدر من الاتفاق بين الوالدين في النظرة إلى التكنولوجيا الحديثة المتعددة الوسائط وفي أساليب التعامل معها:

- استقرار الأسرة يتيح لها أن تقوم بوظائفها في ظروف إيجابية.

5. الاهتمام بتوفير الدعم العاطفي للأولاد كوظيفة مكملة لمهام التنشئة الاجتماعية:

- الاهتمام بحاجيات الأبناء النفسية، المعرفية، الجسمية، بصفة رئيسية تساهم في استقرار شخصية الفرد في المجتمع.
- الاعتراف بالفروق الفردية بين الأبناء، وتأثير المرحلة العمرية على طبيعة الاحتياجات.
- محاولة توفير وسائل التعليم والترفيه الملائمة، لإشباع حاجات الأطفال.

6. مقاومة عرض كل ما يتعارض مع القيم الدينية والاجتماعية والقواعد الأخلاقية الإنسانية سواء في وسائل الإعلام المحلية أو العالمية، والمشاركة الفعالة في مضمون وأساليب الرسائل الإعلامية:

- استغلال وسائل الإعلام والاتصال الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمناقشة ما يفتقده الأفراد؟ يتطلب القراءة السوسيولوجية للارتباط الالكتروني والعزلة الاجتماعية.
- الاهتمام بالعقيدة، الثقافة، الهوية، المعايير، التي تحفظ التوازن والاستقرار، وتحقيق استمرار وتنمية المجتمعات ووقايتها من الانحراف.

خاتمة:

تعتبر شبكة الانترنت قمة التقنيات الحديثة خلال تاريخ التطور البشري، فهي بناء ونسيج عالمي الانتشار توفر معلومات وخدمات متنوعة في جميع مجالات الحياة، وهي وسيلة اتصالية إعلامية إنتاجها المعرفة وتبادل المعلومات، تؤدي اليوم أدواراً سياسية وإعلامية واقتصادية وثقافية واجتماعية وعلمية، وتُعتبر القيم الاجتماعية من أهم الثوابت والمبادئ الأساسية والمعايير التنموية في المجتمعات، فهي جزء من أجزاء تركيب وبناء المجتمع، وتلعب دورا أساسيا في تكوين وتشكيل النسق الاجتماعي واستقراره، هذه القيم يكتسبها أفراد المجتمع من مؤسسات مختلفة داخل المجتمع، من هذا المنطلق يتجه اهتمامنا إلى شبكة الانترنت باعتبارها مؤسسة داخل المجتمع، فاستخدام الانترنت غير المنظم يمثل إدمان يؤدي بالفردية والانعزال التدريجي من المجتمع البشري إلى المجتمع الإلكتروني، ارتأينا أن نقدم مشروع تنفيذي وفق اقتراحات علمية ومجتمعية، انطلاقاً من المؤسسات الاجتماعية التي لها دور فعّال في التنشئة الاجتماعية للأبناء وفق مبادئ ومعايير اجتماعية سليمة خاصةً منها الأسرة، وتعريف المؤسسات الاجتماعية بشبكة الانترنت من جانبها الإيجابي والسلبي، كما يجب إعطاء وفرض دورات تكوينية وضرورة غرس روح التوعية، والاهتمام بتوفير المواقع العربية الوطنية الإسلامية التي تُرسِّخ روح الانتماء والهوية الوطنية العربية، وضرورة اهتمام الصحف والإذاعة والتلفزيون بترسيخ ودعم الهوية والأصالة والموروث الاجتماعي المرتبط بتاريخنا، هذا بهدف تطوير وبناء شبكة العلاقات الأسرية والقرابية وتحقيق التماسك والتضامن والاندماج وغرس روح الانتماء، كما يجب على الدولة بمختلف مؤسساتها ضرورة الاهتمام وكما ينبغي بالتعليم والصحة والعلاج والترفيه والتثقيف وكل متطلبات الحياة.

الهوامش:

1. زهير أحدادن: مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون ذكر سنة النشر، ص.13.
2. أحمد محمد عبد الله: السلوك الاجتماعي "محاولة تفسيرية "، دار المعرفة الجامعية، بدون ذكر البلد، 1992م، ص.125.
3. منال طلعت محمود: مدخل إلى علم الاتصال، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، جامعة الإسكندرية، مصر، 2002م، ص.18.
4. المرجع نفسه، ص.11.
5. المرجع نفسه، ص.22.
6. عبد المالك رمضان الدناني: الوظيفة الإعلامية لشبكة الانترنت، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، بدون ذكر البلد، 2003م، ص.33.
7. محسن أحمد الخضيري: العولمة الاجتياحية ، مجموعة النيل العربية، مصر، 2001م ، ص.11.

8. مصطفى السيد: الدليل الشامل إلى شبكة الانترنت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص.27.
9. محمد لعقاب: وسائل الإعلام والاتصال الرقمية، بدون ذكر دار النشر، ط1، بدون ذكر البلد، 2007م، ص.37.
10. Olivier Andrieu: Internet, guide de Connexion, France, eyrolles, 1996, P. 6.
11. Ipid, P.6 .
12. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، بدون ذكر دار النشر، ط1، بيروت، 2000م.
13. محمد بودربالة: اتجاهات جمهور الطلبة والموظفين نحو برامج التلفزيون الوطني، رسالة مقدمة لنيل شهادة: الماجستير، إشراف: عبد الحفيظ مقدم، معهد علم النفس وعلوم التربية، الجزائر، 1996م/1997م، ص. 20.
14. ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م.
15. عادل العوا: الفكر التربوي العربي الإسلامي للأصول والمبادئ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، إدارة البحوث التربوية، تونس، 1987م، ص.215.216.
16. صلاح الدين بسيوني: القيم في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990م، ص.8-10.
17. الطاهر بوشلوش: صراع القيم لدى العمال الصناعيين من أصل ريفي، رسالة مقدمة لنيل شهادة: الماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008م، ص. 44.
18. مرعي توفيق وآخرون: الميسر في علم النفس الاجتماعي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1984م، ص.216،217.
19. الطاهر بوشلوش، المرجع السابق، ص.44.
20. الطاهر بوشلوش، المرجع نفسه، ص.45.
21. محمّد لعقاب: وسائل الإعلام والاتصال الرقمية، بدون ذكر دار النشر، ط1، بدون ذكر البلد، 2007م، ص.56- 59.
22. عبد الله رشوان: علم الاجتماع التربوي، دار بيروت للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2004م، ص.160.161 .
23. مصطفى الخشاب: علم الاجتماع الحضري، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1976م ، ص.5 .
24. فاديه عمر الجولاني: علم الاجتماع الحضري، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1984م، ص.86 .
25. حميد خروف وآخرون: الإشكالات النظرية والواقع " مجتمع المدينة نموذجاً"، دار البعث، 1999م، ص.74 .
26. عمر معين خليل: البناء الاجتماعي" أنساقه ونُظمه "، دار الشروق، عمان، 1997م ، ص.19 .
27. محمد سعيد فرج: البناء الاجتماعي والشخصية، المطبعة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م، ص.380،381 .
28. اللقاني ومحمد: مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، عالم الكتب، القاهرة، 2001م، ص.55.
29. المرجع نفسه، ص.59.